إشكالية الإيمان والعقل (Foi Et Raison)
عند القدّيس "أوغسطين"

أ. كحول سعودي
جامعة قالمة

الملخص:

بدأ القديس أوغسطين بالإعلان عن سبيلين رئيسيين لمشروعه حول مسألة العلاقة بين سلطتي الوحي والعقل: السبيل الأول هو العمل الدّيني الخاص الذي يتعلق قبل كل شيء ببحث واكتشاف النص المقدّس مع تعقّله، ثم التعبير عنه. أما السبيل الثاني فيتمثل في نقل وتحويل ما تمّ فهمه فهما دقيقا. فالقارئ الدارس إذن، يلتمس مستويين: ما يتعلق أولا بمعرفة الإنجيل والعمل على قراءته، وما يتّصل بعد ذلك بتبليغ ما يُعلّمه الإنجيل ثانيا، ويكون ذلك معياراً ضامناً للوعظ المؤسس على التأويل الصحيح لنصوص الكتب المقدّسة.

Summary :

Augustine begins with announcing the two components of his project: the scriptural work requires first research and discovery, intelligence of the sacred text and expression. Transmission of what has been understood. The reader, the student is asked to understand two levels: The first is to know the Bible, to learn to read; he will then transmit what the Bible teaches, to be able to ensure a sermon based on a fair interpretation of the writing.

مقدمة:

تُعدّ مسألة المعرفة والبحث عن الحقيقة من المسائل التي أثارت اهتمام القدّيس أوغسطين (354–430م)، الذي عنى بالمعرفة ومناهجها ومصادرها عناية خاصة. ويبدو لنا بخصوص هذه المشكلة عموما اختلاف "أوغسطين" عن فلاسفة العصر الوسيط، خاصة المسيحيين منهم، إذ تأسست نظريته على المذهب الأفلاطوني والوحي المسيحي في آن واحد، لاسيّما وأنّه كان يستهويه المذهب المانوي الذي بدا له مذهبًا عقليًا وماديًا معًا، ثم وبتأثير من الأفلاطونية والمسيحية، بدأ صراعه مع المانويين ومع مدرسة الشكّاك أيضا (الأكاديميين الجدد) الذين ألّف ضدهم كتابًا خاصًا في حواراته الفلسفية وهو: "ضد

الأكاديمية". إلى أن جاءت فرصة التحول والانتقال من الفلسفة الشكّية في مجال الابستيمولوجيا إلى الفلسفة الدوغمائية الخالصة، كمشروع جديد يقترح فيه صورًا أخرى من التفسير. لذا فقد حاول التوفيق بين سلطة الإيمان[1] وسلطة العقل (Foi Et Raison)، وذلك على غرار تراث الفلسفة المسيحية ككل، فما كان على فيلسوفنا إلاّ ضبط هذه المشكلة المنهجية في مجال المعرفة، وهي علاقة الدين بالعقل. فهل هما متناقضان أم متلازمان؟ وهل نبدأ بالعقل وبعد ذلك بسلطة الدين أم العكس؟ وهل الايمان وحده كاف لاكتشاف أسرار الوحي؟ وإلى أي مدى يتدخل العقل في تأويل النصوص المقدسة؟

1- أولوية الإيمان:

إنّ فلسفة أوغسطين التي تدور حول مشكلة وجود الله قائمة على الإيمان (La foi) مع الاعتقاد بالسلطة (Autorité) — أي سلطة الدين - لأنّنا نرغب في المعرفة والعلم بما نؤمن به، وفي هذا المجال فإنّ الاعتقاد والمعرفة ليسا شيئان متمايزان، لأنّنا نعتقد ونؤمن بالحقائق الإلهية التي نرغب في فهمها، وقد اعتمد أوغسطين في هذا المنهج على الفكرة القائلة: "إذا لم تؤمنوا، لن تفهموا" أو "إذا لم تعتقدوا، لن تعقلوا". " Si vous ne croyez pas, vous ne comprendrez pas". وفي أصلها اللاتيني هي: " Nisi cre did eritis, non eintelligetis". وهي مأخوذة من سفر الرسّول أشعيا: "إن لم تؤمنوا فلا تأمنوا"، وفي ترجمة أخرى: "إن لم تؤمنوا فلا تفهموا" [2]. إنّ رَبّنا نفسه، وبواسطة كلمته وأفعاله، يحثّنا على الإيمان. لكن عند الكلام عن هذه الهبة الثمينة التي يريدها المؤمنون فإنّه يقول بأنّ الحياة الخالدة والأبدية تتضمن معرفة أسرار الوحي، ومنه فما نعتقده لا يمكن أن يكون دون

---

[1]- الإيمان هو الخضوع والإذعان إلى سلطة الكتب المقدسة (l'autorité des écritures) دون أدلة (الوحي الخارجي) أو اليقين المدرك بالقلب (الوحي الداخلي).

- Noëlla Baraquin, Jacqueline Laffitte: Dictionnaire Des Philosophies, 2ème édition, Armand Colin, Paris, 2007, p29.

[2]- سفر أشعيا: 7:9 (الإصحاح7، الآية9)

معرفته وتعقّله. وفي الواقع لا وجود لشخص قادر على إيجاد الله إن لم يؤمن أولاً بما يجب معرفته ثانيا[3].

تاريخيا، لا يقرّ القديس أوغسطين إلا بحكمة حقيقية واحدة عقلية (Rationnelle) وفوق الطبيعية (Surnaturelle) معا. ولاكتساب هذه الحكمة حسبه يجب البدء دائمًا بالإيمان بما فوق الطبيعة، والمتعلقة بأسرار الثالوث المقدس، ومشكل أصل الشر، ووجود الله أيضا. فالمنهج السليم يتضمن أولا وقبل كل شيء إدراك الحقيقة عن طريق الإيمان قبل التوغل فيها بالعقل. وهي الخطوة الأولى التي يقترحها أوغسطين، أين وضع وظيفة هامة للإيمان بالحقائق الأساسية الخاصة بالمعتقد المسيحي والمتمثلة في أنّ الله وحده خالق كل شيء، وحكيم وخيّر. وهذا خلافًا للمانويين الذي يبدأون بالعلم واعتباره أكثر كمالاً –في نظرهم– من الإيمان. إلاّ أنّ أوغسطين لا يريد البقاء في الإيمان وحده، لأنّه بإمكان العقل اكتساب هذه الحقيقة التي يمتلكها بواسطة الوحي، أي حقيقة وجود الله، ولفهم خضوع وإذعان العقل للإيمان في المنهج الأوغسطيني نقترح ملاحظتين:

1– يجب أن تبدأ كل معرفة صحيحة عبر فعل الإيمان، ومن بين الحقائق الأساسية القائمة على الإيمان نجد دومًا وجود الله الذي تؤكده الكتب المقدسة؛ ثم العقل بمعنى المعرفة الفلسفية لهذه الحقيقة.

2– يتعمق الفكر في حقائق الإيمان بالتأمل التيولوجي للأسرار المتعذر بلوغها بالعقل، وذلك بالبرهان القائم على البداهة بالنسبة لعقلنا الطبيعي[4]. وعندما يبحث أوغسطين عن فكرة الحكمة العقلية الخالصة، فلا يجد تعارضا بين حقائق الوحي، وما يصل إليه العقل بالبرهان.

3– Saint Augustin : Dialogues philosophiques, De l'âme à dieu, De magistro, De libero Arbitrio, tome6, traduction, f.j. thonnard, deuxième édition, desclée, de brouwer, et cie, paris, France, 1952. p219.

4– Saint Augustin : Dialogues philosophiques, De l'âme à dieu, De magistro, De libero Arbitrio, pp514-516.

وعليه، يمكن القول أنّ طريق الإيمان عند أوغسطين هو القلب، فالدخول إلى الطريق، دون شك هو كالسير بإتباع المسيح والذي لا يكتمل إلاّ بالإيمان. من يسافر ويسير بواسطة الإيمان يكون على الدرب الذي يقوده ويوجهه، وعلى العكس من ذلك فإنّ من لا يملك الإيمان، ليس في الجهة الخاصة به، وليس على الدرب الذي يقوده إليها. فيسمح له الإيمان في نهاية المطاف برؤية المسيح بأعين القلب، لأنّ سبيل الإيمان هو الباطنية (L'intériorité)، مادامت هذه الرؤية لا تكون بواسطة النظام المادي، بل بواسطة العواطف والمشاعر المحضة، وهذا نفسه بداية لإرادة فهم الحقيقة[5]. وفي هذا يصرح أوغسطين بأنّ المنهج الأمثل هو في وضع الإيمان قبل أي تفكير نقدي. فنعتقد حين يتعلق الأمر بالدين أنّنا نبدأ بالإيمان وبعدها تتسع الإجراءات العقلية التي تسمح للعقل الإنساني بمعرفة الله، معرفة يقينية. وفي مادة الدين لا منهج أكثر سمو من البدء بالرجوع إلى القدرة على إدراك الحقيقة بواسطة الإيمان، دون إلغاء القدرات التي أودعها الله في الفكر[6]. يقول أوغسطين: "وكذلك فإنّ أفضل طريق، هو الاعتقاد بالله بواسطة الإيمان السليم... ومعرفة الله من أجل الحصول عليه، وعلى نعمة الحياة الخيّرة، وعلى مغفرته عند الخطيئة"[7].

2- سلطة الوحي وسلطة العقل:

لكن ما هي نقطة انطلاق أوغسطين؟ هل هي السلطة (L'autorité) أم العقل (la raison)؟ إنّ نظام الطبيعة يقتضي أن تكون السلطة سابقة على العقل، وذلك عندما نأخذ شيئًا ما ونتناوله. طالما انّ العقل عاجز على التصريح، إلاّ بعد استعانته بالسلطة – أي سلطة الإيمان أو الدين – من أجل التأكيد. لكن ولأنّ العقول البشرية مظلمة بواسطة عادة الضلال والجهل، مع أسوار ليل الخطيئة والرذيلة، إذ ليس لها القدرة على تركيز نظرها على أشعة نور العقل، فإنّ أعينها تنقاد ضرورة نحو نور الحقيقة مثلما تنقاد نحو ظل الإنسانية

5- Ovila Brabant : Le christ, centre et source de la vie morale chez Saint Augustin, Editions J. Duculot, S.A, Combloux, Belgique, 1971, p94.

6- Saint Augustin : La foi chritienne, Traduction J. Pegon, S.J Desclée De Brouwer et Cie, Paris, 1951, p265.

7- Ibid, p441.

بواسطة السلطة[8]. يترتب عن ذلك أنّ سلطة الدين يتبعها العقل، لأنّه لا يمكن الحديث عن الله حديثا صحيحًا إلاّ بواسطة الإيمان الذي ينير بعض دروبنا، وهو على الأخص يوجهنا إلى ما يجب أن نتناوله بنظام محكم. فالعقل هنا يقع في خدمة الإيمان.

ويضيف أوغسطين أنّ الناس غير قادرين على فهم ما يقال لهم، والرسول يعترف جيدًا بأنّ كل كنوز الحكمة والعلم متخفية لدى المسيح المبعوث إلى الذين يولدون بفضله. فالعقول ليست هي نفسها السامعة عندما تُسأل عن الله، لأنّها غير قادرة بذاتها على تناوله، ونحن لا نستطيع إدراك تلك الحقيقة ولا تفسيرها، ولا فهمها إلاّ بمساعدة اليسوع (الرّب). فنصل من خلاله إلى تبرير هذه الحقيقة القائلة بأنّ الثالوث هو الله الحقيقي الواحد، ويكون بالتالي من الدقة ومن الإيمان التفكير في أنّ الأب والابن وروح القدس جوهر أو ماهية واحدة، لاسيما وأنّ الفكر الخالص لا يمكنه أن يرى ولا أن يفهم الخير الأسمى، ما دام أنّ العقل الإنساني وحده غير كافٍ للتركيز على نور أعلى إلاّ بعد تنويره بالدين مع ربطه بعدالة الإيمان. ومنه يكون التأكيد قبل كل شيء لسلطة النصوص المقدسة والإيمان، وبعدها يمكن للعقل أن ينجح في تبريراته وتفسيراته للحقيقة[9].

وإذا كان الإيمان هو الوحي، فهو ينفي الفكر الفلسفي من الناحية المبدئية، لأنّ الإيمان في حد ذاته ينطلق من حقائق يستقبلها مباشرة من الله عن طريق السلطة لا عن الطريق العادي. ومن ثمة فإنّ فعل الإيمان في خصوصيته متميز عن الفعل الفلسفي، لكنه لا يلغيه ولا يقصيه طالما أنّ فعل الإيمان يفترض تجربة العقل في تحضيره. فلا يمكننا إلاّ الاعتقاد أنّه إذا كان العقل مستنيرًا بما فيه الكفاية فإنّه يعلم ويفهم ويملك الحجج الكافية التي تؤهله إلى ما يُعرض عليه. فبعد فعل الإيمان، يمكن للعقل أن يتدخل محاولاً الولوج إلى الموضوع، وأوغسطين نفسه يصرّ على مساعدة الإيمان للعقل، وذلك لفهم وتعقل بعض حقائق

---

[8]– Saint Augustin : La morale chrétienne, Introduction, B. Roland- Gosselin, Edition Desclée De Brouwer et Cie, Paris, 1949, pp139-141.

[9]– Saint Augustin : La trinité (15), 1ère partie : le mystère, traduction, m. mellet, o.p. et th. Camelot, desclée de brouwer et cie, paris, 1955Op, pp93-95.

الوحي ذاتها، لكن وبصورة غير مباشرة يمكن لكل الحياة العقلية الاستفادة مادامت أنوار الإيمان معطاة للفكر ومتصلة بنشاطه الحقيقي، وباختصار فإنّ الإيمان مرافق قبل الفعل، وأثناءه وبعده للأنوار العقلية المتنوعة، وهي أنوار طبيعية (فلسفية) أو فوق الطبيعية (لاهوتية)[10].

وبالعودة إلى تفضيله لسلطة الوحي من الناحية المنهجية، يقول أوغسطين: "السلطة تتطلب الإيمان وتستعد نحو التعقل. وهو ما يقودها نحو الفهم والعلم، فالسلطة لا تتحرك دومًا دون العقل الذي يختبر ما يجب اعتقاده، والحقيقة تُفسّر، وتُفهم جيدًا، فتصير هي نفسها السلطة الكبرى"[11]. ثم يضيف قائلا: "لمعرفة الحوادث، سواء الماضية أو المستقبلية، فإنّ الإيمان أكثر ضرورة من التعقل"[12]. وفي هذا يجب علينا إتباع الرجال والكتب المقدسة الموجهة إلى هذه المعارف، لأنّها وحدها المصادر التي تزرع البديهية القائلة بإله واحد، ومنه فلابد من تفضيل من يعلمنّا وجود الله الواحد، مع التركيز في نفس الوقت على سلطة الكنيسة.

وعلى الرغم من وجود تلازم بين السلطة الإلهية والسلطة الإنسانية عند أوغسطين، فإنّ ما نسميه بالسلطة الإلهية هو الحقيقي، والأسمى، والمتعالي ليس عن الصفات الحسية لكل قوة إنسانية فحسب، بل بتوجيهه للإنسان نفسه، وبنزوله إلى مستواه ليدرك معنى هذه السلطة ومعنى القدرة الإلهية، لاسيما وأنّ القدرة الإلهية تُعلّم قوتها بواسطة الأفعال. ويكون ذلك في وقت أقصر، لأنّ السلطة الإنسانية (العقل) تستغرق وقتا أطول في فهم الأسرار المسيحية المختلفة وسلطتها. فيصعب على العقل وحده الكشف عن أسرار الوحي، وعن فهمها كما يجب أن يكون الفهم. بيد أنّ الوصول إلى العلم يقتضي البدء باستخدام العقل أولاً، وهو الأصح والأقرب إلى المنطق وخاصة لدى العلماء، لكن استخدام السلطة يضعنا

10– F. Cayré : Initiation à la philosophie de Saint Augustin, édition, desclée de brouwer et cie, paris,1947, pp39-40.

11– Saint Augustin : La vraie religion, traduction, l'abbé joyeux, édition, poujoulat, et raulx, paris 2010, p103.

12– Ibid, p104.

في الآداب والأخلاق الحسنة مع استقامة الأفكار[13]. فالسبيلان اللذان يقودان إلى الحقيقة هما السلطة والعقل معا. وعن دور العقل يستشهد "أوغسطين" بقول الرسول: " اسألوا تعطوا. اطلبوا تجدوا. اقرعوا يفتح لكم "[14].

لكن العقل عند أوغسطين لا يستقل بذاته في إدراك الحقيقة المطلقة، بل لابد له في ذلك من سلطة أخرى وهي في الغالب سلطة الكتاب المقدس، فلكي يكون برهان العقل يقينيا لابد له من الاعتماد على السلطة التي تُزيل كل شك وتردد قد يتركه العقل في البرهان، ولذلك يلجأ أوغسطين إلى سلطة الكتاب المقدس في الحقائق الفلسفية. هذه السلطة هي الكفيلة في بعض الأحيان بإقناع الجميع. فالإيمان ضروري للتعقل كما أنّ العقل ضروري للإيمان. ولم يرض أوغسطين عن منهج المانويين في الوصول إلى الكتب المقدسة عن طريق المعرفة العقلية المحضة. صحيح أن العقل يمهد لبعض حقائق الإيمان مع أنّ هذه الحقائق لا يمكن البرهنة عليها ولكن من الممكن البرهنة على أنّه يمكن الاعتقاد بها وتلك هي مهمة العقل. فالعقل يسبق الإيمان؛ ولكن هناك عقلا آخر يتبعه، لأنّه يجب الإيمان بحقائق الوحي حتى يمكن تعقلها[15]. وهذا ما عبّر عنه القديس أنسلم (1033-1109) في الفلسفة السكولائية بالإيمان الباحث عن العقل: "لا أحاول أن أعقل كي أؤمن، بل أؤمن كي أعقل... لا أستطيع أن أعقل إن لم أؤمن"[16].

وبهذا الشكل بالضبط سوف يفهم أكابر المفكرين في العصور الوسطى تلك القاعدة الأوغسطينية القائلة: افهم كي تعتقد، واعتقد كي تفهم. وسوف يرجعون كلهم

---

[13]- Saint Augustin : Dialogues philosophiques (4), problèmes fondamentaux, Contra Academicos, de beata vita, de ordine, traduction, r. jolivet, édition, desclée de brouwer et cie,paris, 1948, pp389-411.

[14]- إنجيل متّى: 7:7 (الإصحاح7، الآية7).

[15]- حسن حنفي: نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، أوغسطين، أنسلم، توما الأكويني، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2008، ص20.

[16]- Saint Anselme : Sur l'existence de dieu (proslogion), Traduction Alexandre Koyré, Librairie philosophique J. Vrin, Paris, 8ème édition, 1992, pp11-13.

بدرجات مختلفة إلى الرُّسَيمة الأوغسطينية، ووفقًا لهذه الرُّسَيمة، يرتسم وضع المفكر المسيحي في حركة ذات ثلاثة أزمنة: هناك عند نقطة الانطلاق إيمان يعتقد بدون أن يرى شيئًا، وعند نقطة الوصول يكون تأمل الإنسان السعيد المغتبط، الطوباوي الذي يرى ولا يعود يعتقد، وبين الحالين إيمان يبحث عن الفهم، إيمان يسعى وراء العقل، ذاك السعي هو الفلسفة. على أنّ الفلسفة عندهم هي نفسها اللاّهوت، فإذا تفلسفوا فعلوا ذلك معتقدين مؤمنين[17]. والدليل على ذلك هو دفاع القديس أوغسطين على الفلسفة، بل على الفلسفة المسيحية باعتبارها الحكمة الحقة، ومنه جعل الصلة وثيقة بين الفلسفة وحقائق الدين، أي وبلغة المسلمين عدم التعارض بين العقل والنقل ، كقول ابن رشد مثلا: "الحق لا يضاد الحق"[18]. مع ما بينهما (أوغسطين وابن رشد) من اختلاف خاصة فيما يتعلق بالتأويل. هذا، وقد اعتمد القديس توما الأكويني على نصوص أوغسطين في توفيقه بين العقل والإيمان الكاثوليكي، بالرغم من ميله الأكبر نحو الدين كمصدر مطلق للعلم بأسراره وحقائقه، يقول: "إذا كانت حقيقة الإيمان المسيحي تتجاوز قدرات العقل الإنساني، فإنّ المبادئ الفطرية الطبيعية للعقل لا يمكنها أن تتعارض مع هذه الحقيقة، لأنها مبادئ صحيحة وليست خاطئة على الإطلاق. فيستحيل أن تكون حقيقة الإيمان مع المبادئ العقلية الطبيعية..."[19].

كما يذكرنا هذا المنهج الأوغسطيني أيضا بموقف دانس سكوت (1266-1308) الذي بدأ بفكرة التعارض بين الفلاسفة والتيولوجيين، فانتقد رأي الفلاسفة القائل بعدم وجود معرفة متعالية أو فوق الطبيعية، لأنّ العقل بإمكانه اكتساب المعارف الضرورية عبر الطريق الطبيعي، بفعل وظيفة العقل الفعّال والمنفعل. لكن دانس سكوت يؤمن بالمعرفة

---

[17]- إدوار جونو: الفلسفة الوسيطية، ترجمة علي زيعور، دار الأندلس للطباعة والنشر التوزيع، ط3، بيروت، لبنان، 1982، ص34.

[18]- ابن رشد: فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، تقديم وتعليم أبو عمران الشيخ، جلول البدوي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ط)، 1982، ص33.

[19]- Saint Thomas D'Aquin : La somme contre les gentils, 2004, p24.

المتوجهة نحو إدراك الغاية المتمثلة في ذلك اليقين (الثالوث) الذي لا يدرك بملكاتنا الطبيعية، أو بواسطة إتباع العقل الطبيعي الذي لا يقدر على تحديده وتفسيره، باعتباره جوهرًا قائما بذاته، ومعنى ذلك هو العودة إلى الوحي والإيمان الكاثوليكي[20]. يضع دانس سكوت هنا حدودًا واضحة للعقل، فاعتبر الوسائل الطبيعية وحدها غير قادرة على معرفة كنه وماهية الإله الثالوث، وهذا خلافًا للقديس أوغسطين الذي يعطي للعقل دورًا إيجابيا أكثر.

3- معقولية الإيمان المسيحي:

إنّها منهجية مثالية عند أوغسطين حيث نضع الإيمان قبل التأمل النقدي، والدليل على ذلك هو شهادة المعجزات وغيرها. يقول: "الإيمان المسيحي (La foi chrétienne) معقول. إذ يتدخل الإيمان في شهادة الناس في كل الأشياء الإنسانية.كم هو معقول أيضا الافتخار بشهادة الله، منذ علّمنا أنه تكلم! ومنه، فإنّ فعل الشهادة الإلهية معروفة بعلامات كثيرة كالأنبياء ومعجزات كل نظام..."[21]. فتتحقق العناية الإلهية بواسطة أعمال الرُّسل، وبالإنسانية، وبمذهب المسيح، وبرحلات الأنبياء، وبالصليب، وموت الشهداء، وبالقديسين، والعدد الكبير من المعجزات[22]. يستدل أوغسطين إذن، بالمعجزات، إذ أنّ المعجزة في نظره حادثة تتجاوز التعرّف البسيط للسلطة، فتستدعي استقبالا خاصًا. وعلى العقل أن يتجاوز البداهة الحسية العادية وذلك بمساعدة الدور الذي تلعبه الإرادة. ويكون حضور الإيمان في مسرح العقل بصورة بديهية، هو حضور العقل ذاته، وهذا يسمح للإيمان أن يكون حادثة للاستدلال والتبرير العقلي، لذلك يركز أوغسطين على فكرة: أنا أؤمن

---

[20]– Duns Scot : La théologie comme science pratique, Traduction, Gérard Sonday, Librairie philosophique J. Vrin, paris, 1996, pp139, 142.

[21]– Saint Augustin : Pages dogmatiques, tome 2, synthèse du dogme catholique, Edition Vivés, paris, 1935, p108.

[22]– Ibid, p120.

لكي أفهم، يعني الفهم للإيمان والإيمان للفهم. ففهم الكلام من أجل الإيمان، والإيمان بكلمة الله (المسيح) من أجل الفهم[23].

ليس الإيمان عند أوغسطين مجرد عاطفة غامضة، بل هو قبول عقلي لحقائق: إن لم تكن مدركة في ذاتها كالحقائق العلمية، فهي مؤيدة بشهادة شهود جديرين بالتصديق، هم الرسل والشهداء، وبعلامات خارقة هي المعجزات. ليس ينفر الإيمان من نقد العقل مادام الإيمان نفسه لا يوجد إلا في العقل. فعلى العقل مهمة قبل الإيمان، هي الاستيثاق من تلك الشهادة وتلك العلامات، ومهمة بعد الإيمان، هي تفهم العقائد الدينية، والتعقل هنا هو البرهان على ما هو طبيعي كوجود الله وصفاته، ووجود النفس وروحانيتها، أما ما هو فوق الطبيعة فيقتصر فيه عمل العقل على تفسير يجعل الموضوع شبه معقول بما يجد له من صورة ومثال في الطبيعة، كالطريقة في معالجة مسألة الثالوث كسر من أسرار الإيمان المسيحي، فلا يوجد إلاّ النفس الإنسانية الناطقة أقرب الخلائق المنظورة شبهًا بالله. ففي هذه النفس الذاكرة والعقل والإرادة[24].

وهكذا، فإنّ اهتمامات "أوغسطين" لاهوتية في الأساس، وحتى في الحالات التي كان فيها يهتم بالمسائل الفلسفية، كان هدفه الأكبر هو التوفيق بين تعاليم الكتب المقدسة والتراث الفلسفي للمدرسة الأفلاطونية، وقد استبق في ذلك تراث اللاّهوتيين المدافعين عن العقيدة بالحجة العقلية. ومع ذلك فإنّ تأملاته الفلسفية لها أهميتها في ذاتها، وهي تكشف عن وجود قدر من التعمق الفلسفي في تفكيره[25].

وبذلك يظل أوغسطين وفياً لعقيدته الكاثوليكية، لذلك نرى بأنّ الفلسفة الحقيقية لا تبدأ بالإيمان مثلما أراد أسقف هيبون، لأنّ هذا المنهج يمارسه اللاّهوتي، وليس

---

[23]– Dominique Doucet : Augustin, l'expérience du verbe, librairie philosophique j. vrin, paris, 2004, pp148-149.

[24]– يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، (د.ت)، ص ص29–30.

[25]– برتراند راسل: حكمة الغرب، ج1، ترجمة فؤاد زكريا، عالم المعرفة، الكويت، 1983، ص200.

الفيلسوف الحقيقي. كما أنّ المقدمات الدينية تقودنا دومًا إلى نتائج دينية محضة، فنقع في نوع من الحلقة المفرغة. ورغم هذا، فقد مارس القديس أوغسطين بعض التأويلات (Les interprétations) وخاصة في بعض كتبه مثل: "الإيمان المسيحي" "La foi chrétienne" و"المذهب المسيحي" "La doctrine chrétienne".

4- التأويل:

وضع أوغسطين كتاب "المذهب المسيحي" لتأويل الإنجيل، لعامة الناس بما أنّه يحمل لغة مجردة، إنّه كتاب تعليم وتعلم وتربية وثقافة؛ يتضمن تعليقا حول الكتب المقدسة، لأنّ كل تعليم يتعلق بالحقائق والوقائع أو بالعلامات (Les signes)، ومنه فهذه الكتب هي ترجمة لأفكار ما كأي خطاب إنساني[26]. فلو فتحنا قراءة جديدة لهذا الكتاب سنجده يتناول وسائل التعبير التي يعمل بعض الكُتّاب القديسون على تشكيل عموم اللّاهوت السائد في الكتاب المقدس أثناء تفسيراتهم لآياته، وهي الوسائل والأدوات(العلامات) الخاصة بالمتأوّلين للإنجيل. وفيه اهتم "أوغسطين" بالمعاني الظاهرية والباطنية للنصوص، كاجتهاده مثلا في إثبات تجسُّد الكلمة (المسيح) كعلامة فوق كل العلامات، ومنه فالعالم الحسي ما هو إلاّ مظهر خارجي للعالم المعقول[27].

وفي هذه المرحلة يؤكد القديس أوغسطين إيمانه -سواء بقوة أو بضعف- بحقائق الوحي. لكنه لم يشك أبدًا في إيمانه بوجود الله وبعنايته بنا. يجب أن نفكر في طبيعة

---

[26]- Goulven Madec : Portrait de Saint Augustin, Desclée Brouwer, Paris, 2008, pp53-54.

[27]- Luc Verheijen: Le Premier Livre, Du De Doctrina Christiana D'augustin, Un Traité De "Télicologie" Biblique, Augustiniana Traiectina, études augustinienne, dépôt légal, Paris, 1987, p174.

يُلاحظ أيضا في:

- Isabelle Brumetiére: Bulletin Augustinien pour 2001-2002 Et Compléments D'années Anterieures, revue des études augustinienne (482|), Paris, 2002, p380.

الخالق، والسبيل المؤدي إليه، رغم قناعتنا بضعفنا الكبير في اكتشاف الحقيقة بواسطة قوى العقل وحدها، ومن أجل ذلك فإننا في حاجة إلى سلطة الكتب المقدّسة مع تفسيرها تفسيرًا عقلانيا. يقول أوغسطين: "منذ أن فُسّر لي عدد كبير من مسالك هذه الكتب، بمعاني معقولة، أستند إلى عمق الأسرار المسيحية التي تبدو غير معقولة والتي تعودت على التهجم عليها... ومنه فكل قارئ يبحث عن المعنى العميق والباطني بالعقل لتوضيح التفسيرات المختلفة، وكذلك المبالغة في تبسيط اللغة" [28]. ففي هذه الحالة يرغب "أوغسطين" في تبرير المنهج الرمزي (la Méthode Allégorique) للتأويل الذي يمكّنه من استخراج المعاني العميقة الباطنية للنص الأصعب من العهد القديم والجديد، وذلك لشرح وتفسير الجوانب الغامضة من الإنجيل. وبالتالي فإنّ التأويل هو نشاط عقلي يؤدي إلى تمثُّل الحقيقة بواسطة وسيلة أساسية هي العلامات، فيكون على شكل انتقال من المعرفة المباشرة إلى المعرفة غير المباشرة مع توضيح دقيق ومتواصل بالحدس المباشر[29].

ولهذا أدرك أوغسطين أنّ المعنى الحرفي للكتاب المقدس قد يُنفِّر، أما سبر غوره والوقوف على جواهره، وهو ما يتحقق بمنهج التأويل، فيكشف عن حكمة هي ضالة الإنسان. لقد لجأ أوغسطين لهذا المنهج لأنّه آمن بأنّ الكتاب المقدس الذي يحتوي على الحقيقة التاريخية الكلية كتاب صعب مليء بالغموض وبالأسرار، فلابد من البحث عن معنى خفي يستتر وراء المعنى الحرفي الظاهري الغامض. وقد انتقل أوغسطين إلى عملية التأويل بعد استماعه لإحدى عظات القديس أمبرواز (339-397م)، والتي استخدم فيها

---

[28]- Saint Augustin : Pages dogmatiques, tome 2, synthèse du dogme catholique, p112.

[29]- Peter Brown: La Vie De Saint Augustin, Traduit de L'anglais par Jeanne-henri Marrou, éditions de Seuil, Paris, 1971, p311.

التأويل والمفاهيم الأفلاطونية المحدثة، فأدرك أنّ الكاثوليكية هي الحقيقة، وهذا عكس ما كان يعتقده سابقا[30].

ورغم اهتمام أوغسطين الشديد بالمعنى الباطني للنص المقدس إلاّ أنّه اهتم أيضا بالمعنى الحرفي أو اللغوي، لأنّ الحرفي هو الأساس السليم لكل تفسير مجازي، وذلك على غرار التأويل الرمزي والتفسير المجازي لنص التوراة لدى فيلون (20ق م– 50م) زعيم المدرسة الإسكندرية. قد تكون العلامات عند أوغسطين غامضة رغم كونها حقيقية، أي كلمات تتضمن معنى حقيقي، لكنه يبدو النص غامضا، فلابد من استخراج المسلك الأكثر وضوح من الكتاب، أو من سلطة الكنيسة، فيستدعي الأمر مراجعة نص الخطاب نفسه، بيد أنّه قلّما نجد غموضا في المصطلحات الحاملة لمعاني حقيقية. أمّا العلامات المجازية الغامضة، فتعني غموض المصطلحات أو الألفاظ التي تحمل المعنى المجازي، وهي تفرض حذرًا وعناية خاصة ومشتركة. ويجب قبل كل شيء الالتزام بأخذ التعبير المجازي الحامل للاستعارات والكنايات، من أجل التعبير عن المعنى الحقيقي، مع تجنب أخذ التعبير بالمعنى الحقيقي من أجل تعبير مجازي، وفي هذا لابد من اكتشاف وسيلة لمعرفة إن كان التعبير حقيقيا أو مجازيا، وذلك بنزاهة الآداب، وحقيقة الإيمان وحب الله ومعرفته[31]. فالقدّيس "أوغسطين" يسير في التأويل المجازي بفطنة، إذ يرى وجوب التمييز بين ما يجب أن يُؤخذ من النصوص حرفيا وبين ما يجب تأويله مجازيا، على أن تكون نتيجة التأويل الاتفاق مع العقيدة، ومبدأ وجوب اتفاق نتيجة التأويل مع العقيدة صار متوارثا لدى الكثيرين من رجال الدين المسيحي فيما بعد[32].

---

[30]– زينب محمود الخضيري: لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1992، ص ص 72، 75.

[31]– Saint Augustin : La doctrine chrétienne, 1ère série, Traduction Madeleine Moreau, Editions Brepols, Paris, 1997, pp 237, 257.

[32]– محمد يوسف موسى: بين الدين والفلسفة في رأي ابن رشد وفلاسفة العصر الوسيط، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1968، ص126.

وينطلق أوغسطين من فكرة هامة وهي غموض الكتاب الإلهي أو الكتاب المقدس والتباسه، وهو الدافع الذي حرّضه على استخدام التأويل العقلي وكأنّه ترياق لمعالجة النصوص المقدسة. وفيه قسّم العلامات (les signes) اللغوية إلى حقيقية وأخرى مجازية، يقول حول هذه الفكرة: "هناك سببان لعدم فهم نص مقدس (texte scripturaire)، عندما تكون العلامات مجهولة أو غامضة المعنى. إمّا أن تكون العلامات حقيقية أو مجازية. فنقول عنها حقيقية حينما تُستعمل للتمييز بين الأشياء كما هي مخلوقة... ونقول بأنها مجازية عندما تكون الموضوعات التي نرمز لها بواسطة لفظ حقيقي يستعمل للإشارة إلى شيء آخر"[33]. وعندما نقول مثلا لحم حيوان ما فإننا نفكر في الحيوان الذي يسميه كل الناس الناطقون معنا باللغة اللاتينية بهذا الاسم، وفي هذه الحالة فإنّ العلامة حقيقية، وتكون مجازية عندما نستعمل نفس اللفظ أو العبارة (لحم حيوان ما) للدلالة على معنى آخر في الإنجيل باستعمال التأويل[34].

هذا، وقد تدل كلمة ما في الإنجيل على أكثر من معنى، مما يستوجب القيام بالتأويل لإزالة اللبس والتناقض. وفي هذا يقول أوغسطين: "لكن عندما نستخرج من نفس كلمات الكتاب، ليس معنى واحد فقط، بل معنيين، فلا وجود لأي خطر، حتى لو أُعطي للسامع معنى متخفي، إن استطعنا الاستدلال عليه بواسطة مسالك أخرى من الكتب المقدسة التي تتفق مع الحقيقة... أو يُستخرج من هذه الكلمات تصور مختلف غير متعارضة مع الإيمان الخالص"[35]. فيحدث أن نفهم من كلمات الكتاب معاني متعددة وبكيفيات مختلفة.

5- شهادة الكتب المقدسة:

يحتاج التأويل -يضيف أوغسطين- إل شهادة الكتب المقدسة، وهي في حاجة إلى توضيح بواسطة الحجج والأدلة العقلية كونها غامضة بالاستعارات، وفي حالة الاختيار، فإنّنا

---

[33]- Saint Augustin : La doctrine chrétienne, p157.

[34]- Ibid, p157.

[35]- Ibid, p287.

نقوم بانتخاب معنى على آخر، وهنا نلجأ إلى التأويل الذي يزيل المجادلة والتناقض، وفي حال بقاء التعارض وعدم المطابقة نعود مرة أخرى إلى الشهادة الكامنة في الكتب نفسها، وبالمعنى المبرّر[36].

إنّ الكتاب الذي يُعلّمنا الحقيقة الأسمى لا يمكنه أن يوقعنا في خطأ علمي، وكل ما يقدر عليه العلماء بأدلة حقيقية، هو الاستدلال من الطبيعة بأنّ هذا لا يتعارض مع الكتب المقدسة؛ لكن كل ما يتعارض مع رسائلنا المقدّسة أيضا، أي مع الإيمان، بالقياس إلى وسائلنا، يُستدل على بطلانه. وبهذه الشروط، فكل ما في رسالة الكتاب المقدس قد تبدو وكأنها متناقضة مع بديهيات العلم، والعقل، أو الأخلاق، يجب أن تُفسّر بوظيفة الاعتقادات، واستعمالات تلك المرحلة. هذا هو الحل الرئيسي الذي اهتدى إليه أوغسطين، لأنّ أي انطباع سرّي لا يمكن تنويره إلاّ عن طريق الرموز المعقولة. إنّ النصوص المقدسة تعبيرات تحمل معاني مختلفة، إذ قد تكون علامات ظاهرية ترمز إلى معاني أخرى باطنية، فالزيتون مثلا يرمز إلى السلام. وبهذه الحدوس الصوفية، يقرأ أوغسطين الإنجيل والمزامير، وبفضل هذا المنهج يفسر كل يوم أحد لشعبه صفحات الكتاب ويشرحها له، لأنها عبارة عن رموز أي رمزية النص[37]. إنّ استخدام مناهج التأويل للكتب المقدسة عند أوغسطين تعبير عن فن الفهم السليم والصحيح لمعاني وتصورات النصوص، أي الانتقال من المعاني المجازية إلى المعاني الحقيقية، درءًا للغلط والضلال عند وصف الله تعالى.

وبهذه الكيفية، ومن أجل الحديث عن الله ووصفه وصفًا صحيحًا يجب في نظر أوغسطين الرجوع إلى الكتاب الحامل للّغة المعبّرة عن أشياء موجودة. فلتطهير الفكر الإنساني من كل أخطائه فإنّ الكتاب المقدس هو الذي يُغذّيه، ويسمح له بأن يتطور شيئًا فشيئًا، إلى أن يصل بوجه ما إلى الحقائق الإلهية والعليا. إنّه يتضمن تعبيرات مجازية (Empruntées) للأشياء المادية من أجل الكلام عن الله. معنى ذلك أنّه يتضمن -عند

36- Saint Augustin : La doctrine chrétienne, p283.

37- G. De Plinval: Pour connaître la pensée de Saint Augustin, édition, bordas, paris,1954, pp125-127.

وصفه الله- صورًا بيانية من تشبيهات واستعارات مأخوذة من الخلق الروحي لترجمة حقيقية بغيرها. فعندما يصف الله نفسه أنّ له أجنحة (Les ailes)، فهي موجودة في الواقع كأشياء وأعضاء مادية، لكنها بالنسبة إلى الله فهي مجرد كناية لها دلالتها الرمزية[38].

6- قواعد التأويل:

كل ذلك أدّى بأوغسطين إلى وضع شروط وقواعد دقيقة للتأويل في كتابه: "المذهب المسيحي" وهي[39]:

1- من أجل تجاوز الجهل بالعلامات الحقيقية، فإنّ الوسيلة الأساسية الموصلة إلى معاني الألفاظ الحقيقية هي في معرفة اللّغات كشرط ضروري لمعرفة الكتب الإلهية، وخاصة اللغة الإغريقية والعبرية، وذلك من أجل ترجمة سليمة إلى اللغة اللاتينية. لأنّ غموض النص الأصلي يوقع المترجم في الخطأ إن كان غير عارفٍ بالتعبير الصحيح، فيأخذ معنى آخر غير ما فكّر فيه الكاتب.

2- عند وجود العلامات المجازية، على القارئ التوقف للبحث عن المعنى الدقيق، وذلك بمعرفة اللغات وقواعدها، وأحيانا ضرورة معرفة الأشياء والأخذ بالمعاني الرمزية للوصول إلى أسرار الكتاب. فيقوم بترجمة كل الأسماء لمعرفة معنى: آدم، إبراهيم، موسى. وكذلك أسماء الأماكن: أورشليم، سيناء... مع ترجمة التعبيرات المجازية ترجمة واضحة. وبعد ذلك أصرّ أوغسطين على معرفة الأشياء لإزالة التعبيرات الغامضة عنها، كالأشياء الطبيعية مثل الحيوانات والجمادات والنباتات وغيرها، والتي هي مجازية في الكتاب أو أنها رموز (Symboles).

3- وسيلة المقارنة الدائمة بين النصوص من طرف المترجمين إلى اللغة اللاتينية، وذلك بالتمحيص والاختبار.

38- Saint Augustin : La trinité (15), pp87-89.

39- Saint Augustin : La doctrine chrétienne, pp157, 269.

4- الاستنجاد بالتاريخ الذي يقدم لنا مساعدة كبيرة لفهم الكتب المقدسة، فنقابل تاريخ الأمم بالإنجيل، لطرحه بكيفية واضحة جدًا ودقيقة، أي استعمال التاريخ بالرجوع إلى أعمال وكتب أفلاطون مثلاً الذي يقال بأنّه ذهب إلى مصر فتشبّع ربما برسائل المسيحية عن طريق جرمي (Jérémie).

5- الصيغة الصورية للأمر الذي يمنع الفساد والعنف، فنصل إلى معنى حقيقي لا يتضمن العنف. أمّا إذا كان النص يدعو إلى ما هو نافع وخيّر فهو غير مجازي، وإلاّ فهو كذلك. مثال: "الحق الحق أقول لكم: إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه، فليس لكم حياة فيكم "[40]. يبدو ظاهريا أنّه نص يدعو إلى العنف والفساد والانحلال، فهو إذن معنى مجازي، وعندما نحتفظ بذكرى عميقة عن السلم الذي ضحّى من أجله المسيح، نفهم من النص أنّ ذلك عبارة عن غطاء للجرح والألم.

7- مراحل التأويل:

يمكن تقسيم منهج التأويل عند أوغسطين إلى مرحلتين: تتكون الأولى من خطوة القراءة، ثم خطوة التفسير الحرفي أو اللغوي للنص وهي الشرح. ويعتمد فيها الشارح على معرفة دقيقة باللغة وبقواعدها، وبعد ذلك تأتي الخطوة الثالثة وهي تحقيق الكتاب المقدس الذي كانت له ترجمات لاتينية عديدة عن اليونانية. والمرحلة الثانية ينطبق عليها اسم التأويل بالفعل، لأنّها تعني بالتفسير المجازي للنص، وهنا لم يتوقف أوغسطين عن تأويل الأسماء وإنما تأوّل الأحداث أيضا. كتأويله لقصة الطوفان وهي قصة ذات دلالة رمزية، فالسفينة ترمز للكنيسة، والحيوانات ترمز إلى مختلف الشعوب الظاهرة وغيرها[41].

وبذلك استطاع أوغسطين أن يحدد محتوى الكتاب المقدس بالعودة إلى شرط توفر المعرفة لاكتشاف العلامات، وهنا يمكن تقسيم الدور الهيرمينوطيقي (le cercle herméneutique) إلى:1- الدور الخارجي المتمثل في تقديم الكتاب. 2- الدور الأوسط

---

[40]- إنجيل يوحنا 6: 53 (الإصحاح 6، الآية 53).

[41]- زينب محمود الخضيري: لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين، ص ص77، 80.

المتمثل في تفسير العلامات. 3- الدور الداخلي وهو معرفة الشيء نفسه. ومنه، يبرر التأويل الأوغسطيني المسافة بين معنيين، المعنى المباشر لنص الإنجيل، والمعنى غير المباشر له. على أنّ وظيفة التأويل ليست هي التي تسمح بإثبات وإقامة المعنى الجديد، بل على العكس من ذلك، فإن يقين المعنى الجديد هو الذي يوجه عملية التأويل. هذه المقاربة النقدية والهيرمينوطيقية تثبت مشروعية الدور، لأن كل قراءة قائمة على قاعدة أساسية وهي: ما قبل الفهم، والآراء المسبقة، وهي القاعدة التي قال بها بعض الفلاسفة العاصرين من أمثال غادمير (GADAMéR) وهيدغر (HEIDEGGER)[42].

ففي هذه المسألة (هيرمينوطيقا الفهم) يقول غادامير:"وإنّما ينصّب اهتمامه على الكشف عن دلالة أصلية متوارية خلف المكتوب المراد معالجته... دلالة البحث التأويلي هي الكشف عن معجزة الفهم وليس الكشف عن التواصل العجيب بين الذوات... يهدف التأويل إذن إلى إرجاع وإحلال الاتفاق وتسديد النقائص. كل هذا أكده تاريخ التأويل وخاصة عندما نستعين بهذه المرجعيات الهامة: القديس أوغسطين يتحدث عن العهد القديم الذي ينبغي أن ينظر عبر الحقائق المسيحية في عهد الإصلاح"[43] . فغادامير من المعاصرين الذين وضعوا أسس فن التأويل والتفكيك، حول حقيقة العلوم الإنسانية، للوصول إلى المعنى المعقول. ومنه يمكن القول أنّ الهيرمينوطيقا المعاصرة تمتد إلى الفلسفات الكلاسيكية، وخاصة الفلسفة الأوغسطينية.

إنّ التأثير الذي مارسه ويمارسه أوغسطين في مجال فلسفة التأويل يظهر بصورة أوضح لدى فلاسفة العصور الوسطى، كالغزالي عند المسلمين وموسى بن ميمون عند اليهود. فقد وُجّه سؤال للغزالي حول معنى قول الرسول:"إن الشيطان يجري من أحدكم

[42]- Saint augustin : la doctrine chrétienne, pp438 ,442.

[43]- هانز غيورغ غادامير: فلسفة التأويل، الأصول، المبادئ، الأهداف، ترجمة، محمد شوقي الزين، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، المركز الثقافي العربي، ط2، 2006، ص ص42،39.

مجرى الدم"[44] هل هو ممازجة كالماء بالماء؟ يرى الغزالي أنّه إشارة إلى سريان أثره في جميع باطن الإنسان كما تجري أجزاء الدم وتسري في جميع باطنه وليس كممازجة الماء بالماء. ويؤكد الغزالي كرهه للخوض في مثل هذه المشكلة، لوجود تصادم بين المعقول والمنقول في أول النظر. لذلك قسم الفرق إلى من ينظر إلى النقل، ومن ينظر إلى العقل، ثم من جعل المعقول أصلا، ومن جعل المنقول أصلا. لكن الفرقة المتوسطة الجامعة هي المحقة في نظره، وقد نهج أصحابها نهجا نوعياً، حيث لا يدّعون العلم المطلق لقصور عقولنا. وأن لا يكذّب برهان العقل أصلا إذ به عرفنا الشرع، والشرع شاهد بالتفاصيل، والعقل مزكي الشرع[45].

وللتأويل عند موسى بن ميمون قواعد وشروط في كتابه "دلالة الحائرين". من بينها: أن يكون في الظاهر ما يرشد المتأمل بعقله إلى المعنى الخفي. ثم تأويل النصوص إذا كان معناها الحرفي يُنسب لله صفات المخلوقين التي يستحيل عقلا أن تُنسب له الخ...[46]. ويقول في تأكيده على ضرورة التأويل: "وكذلك ينبغي أن يعلم أيضا من أمر الاستعارات والإغياآت طرف، لأنّه قد يأتي ذلك كثيراً في نصوص الكتب النبوية...وقد بيّنوا وقالوا: التوراة تتكلم بلغة المبالغة يعني الإغياء"[47]. ويضيف في حديثه عن تأويل النصوص: "فكيف لا يكون ذلك في هذه الغوامض؟ وأيضا فإنّي لا أرجّح لك تأويلي، بل أفهم تأويله كله ممّا نبهتك. وأفهم تأويلي، والله أعلم بأي التأويلين هو المطابق لما أريد"[48].

خاتمة:

نستنبط في نهاية بحثنا أنّ المنهج الأوغسطيني كان منهجا فلسفيا، لكنه قائم على المنهج التيولوجي (اللاّهوتي) بامتياز. فأوغسطين لم يضع فواصل واضحة بين المجالين، إذ لا

---

[44]- رواه البخاري، رقم: 2038، ج1، خرج أحاديثه واعتنى به، أبو الرحمان عادل بن سعد، دار الرشيد، الجزائر، 2008، ص432.

[45] – الغزالي: قانون التأويل، دار البيان، دمشق، سوريا، ط1، 1992، ص ص15، 25.

[46]- زينب محمود الخضيري: أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1983، ص 192.

[47]- موسى بن ميمون: دلالة الحائرين، ترجمة وتقديم، حسين أتاي، مكتبة الثقافة الدينية، (دس)، ص448.

[48]- المرجع نفسه، ص 474.

نستطيع في نظره أن نميز الإثنين عن بعضهما البعض، ومنه فالمعرفة الإيمانية والمعرفة العقلانية مقولتان ضروريتان في المنهج الأوغسطيني. إنّ فيلسوف ثاغاست (سوق اهراس حاليا) عالم بإمكانية انحراف الإنسان ووقوعه في الضلال بعيدا عن الله، فيطالبه بالإيمان قبل أي شيء آخر. وعلى الإنسان الوصول إلى معرفة الله للخلاص عن طريق الكنيسة الكاثوليكية. الإيمان إذن ضروري لاكتساب الذكاء والفهم، لا سيما فهم بعض الأسرار، فمن لم يعتقد لم يفهم. ولكن الإيمان أيضا مرتبط بالعقل الطبيعي، فمن لم يعقل لم يؤمن.

وهكذا، فإنّ القديس أوغسطين قد سار على النّهج الذي رسمه آباء الكنيسة القدامى، وخاصة القديس بولس وأمبرواز ...كما اختار الفلسفة الأفلاطونية كمرجعية معرفية ومنهجية لمذهبه، لأنّها الفلسفة الوحيدة التي تتناسب مع دعائم ميتافيزيقاه. فجاءت فلسفته في صورة متجانسة تُظهر فهمه العميق للمسيحية والفلسفة الأفلاطونية معا.